كلية دار العلوم

قسم الفلسفة

مفهوم السعادة

بين أبي الحسن العامري (٣٨١هـ) و الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)

أطروحة ماجستير إعداد الطالبة:

رحاب محسن محمد الهواري

إشراف الأستاذ الدكتور:

أبو اليزيد العجمي

أستاذ الفلسفة الإسلامية ـ كلية دار العلوم- جامعة القاهرة

مشرف مشارك:

د. الحسين عبد الفتاح جادو

1437هـ - 2016م

المقدِمة

الحمد لله الواحد المعبود، الذي عمَّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، أحمده سبحانه وأشكره وهو بكل لسان محمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وعد من أطاعه بالعزة والخلود، وتوعَّد من عصاه بالنار ذات الوقود، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم من المؤمنين الشهود، أما بعد،،،

فما لا شك فيه أن السعادة هي غاية الإنسان من العيش ؛ فالإنسان يظل يبحث عن السعادة حتى إن لم يعرف كيفية الوصول إليها أو حقيقتها ؛ حيث إنها حالة نفسية تشمل كيان الإنسان كله.

وترجع أهمية دراسة موضوع السعادة إلى كثرة الخلاف بين الناس على معنى السعادة أو ماهيتها، ومما قيل في هذا الموضوع: "لم يختلف الناس في شيء اختلافهم في تحديد معنى السعادة وبيان أركانها المشيَّدة عليها أو وسائلها المفضية إليها، ويتعثر اتفاقهم في ذلك ما داموا مختلفين في التربية ومتباينين في الطباع والأمزجة والأخلاق".

يقول: د. إبراهيم مدكور : "السعادة نظرية أخلاقية في أساسها، فهي تمثل عند الجميع الغاية التي ينشدها الإنسان من وراء سلوكه".

ويتفق هذا مع ما قاله أرسطو عن السعادة ، وهي أنها غاية الأخلاق والسلوك ومقياس الخير والشر وقمة الفضائل ؛ لذلك أفرد نظرية في السعادة ضمن كتابه الأخلاقي الكبير الأخلاق.

ومن الواضح مدى أهمية السعادة كموضوع حيو ي ومطلب ضرور ي أثار اهتمام الكثير من الفلاسفة الإسلاميين واليونانيين على السواء، فنجد الفكر اليوناني يركز في دراسته لموضوع السعادة على السعادة الدنيوية العقلية مهملًا الجانب العَقَد ي، أما الإسلام فلم يضيِّق على المسلمين في شيء من متاع الدنيا، بل دعاهم إلى الأخذ بنصيبهم منها مؤكدًا لهم على عدم حرمان أنفسهم مما أحل لهم الله من الطيبات مع مراعاة حدود الله ومصلحة العباد، فإن فعلوا فازوا بسعادة الدارين.

وكما اهتمت الفلسفة اليونانية بموضوع السعادة اهتم بها علماء المسلمين، وأفرد لها العديد منهم كتبًا لبيان مفهوم السعادة في الفكر الإسلامي ، فنجد العامري يفرد أحد أهم كتبه وهو "السعادة والإسعاد" والذي يحدثنا فيه العامري عن موضوع السعادة بكل جوانبها ومفهومه للسعادة وتقسيمه للسعادة وكيفية اكتساب السعادة، وسوف يتم العرض له بالتفصيل في البحث، وأيضًا من مؤلفات العامري التي يشير بداخلها إلى مفهومه للسعادة باعتبارها أحد موضوعات الأخلاق كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام "، ورغم أن الكتاب يعالج موضوعات كلامية فإنه يعرض للسعادة موضحًا الفضائل الإنسانية إلى جوار كتاب "رسائل العامري وشذراته الفلسفية" والذي يعالج العديد من الموضوعات التي توضح آراء وأفكار العامري، فنجده يشير إلى السعادة وتقسيماتها المختلفة من خلال تعرُّض الكتاب

لشرح كتاب "السعادة والإسعاد"، أيضًا يفرد الراغب الأصفهاني لمفهوم السعادة كتابًا هو "تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين "، ويستعرض فيه معنى السعادة وتقسيمها وسبل نيلها وعلاقتها بالفضائل الأخرى، وسيتم العرض له بالتفصيل في البحث، ويأتي كتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة " كمصدر رئيسي للراغب، فلهذا الكتاب مكانة كبيرة ليس فقط في فكر الراغب بل وفي الفكر الأخلاقي الإسلامي عامة، ويتناول الكتاب العديد من آراء الراغب عن مفهوم السعادة والطرق الموصلة لها، ومعنى السعادة الحقيقية وهي لديه السعادة الأخروية.

ولأهمية موضوع السعادة تَعَرَّضَ له عديد من علماء الفكر الإسلامي ومنهم: ابن القيم الجوزية في كتابه "طريق الهجرتين وباب السعادتين "، وأيضًا "مفتاح دار السعادة" لـ: سلطان علي شاه، والفارابي في "رسالة التنبيه على سبيل السعادة " وكتابه "تحصيل السعادة"، والغزالي في "كيمياء السعادة "، وآخرون.

وتقوم فكرة البحث على اتخاذ نموذجين من تيارين رئيسيين في الثقافة الإسلامية ألا وهما أبو الحسن العامري 381هـ ممثلًا للم تأثرين بالفلسفة اليونانية والراغب الأصفهاني 502 هـ الذي يمثل الفكر الإسلامي الخالص الذ ي يستمد أفكاره من الكتاب والسنة.

ومن أهم أسباب اختيار العامري مكانته في تاريخ الفلسفة الإسلامية؛ حيث اشتهر العامري في عصر كثر فيه العلماء الكبار مثل أبي زيد البلخي، وأبي جعفر الخازن، وأبي عبد الله الخوارزمي، والسيرافي، والقاضي عبد الجبار، والسجستاني، وغيرهم، ورغم ذلك فقد نال مكانة بارزة ما يدل على ثقله العلمي وعمق عقليته الفلسفية،

كما تأثر الكثير من النوابغ به، فنجد اقتباسات كثيرة من كتبه في كتب أعلام الفكر الإسلامي؛ مثل كتاب "الحكمة الخالدة" لابن مسكويه. يقول العامري: "إن من لم يجرد سعيه لطلب الحكمة .. عاقه أحد الخيرات العرضية..عن لحاق الخير المحض الذي هو أَوْلى الأمور به ، أعني الإحاطة بأشرف المعلومات ". "وكتاب الإمتاع والمؤانسة" حيث يذكره فيقول : "يقول العامري: إن ما هو أكثر تركيبًا فالحس أقوى على إثباته، وما هو أقل تركيبًا فالعقل أخلص إلى ذاته " "والبصائر والذخائر" فنجد أبا حيان يقول: "إن العامري كان له في تلك السنة (364هـ) حديث مع البغداد يين، قال: "القوة الشهوانية إذا أفرطت كانت شَرَهًا، وإذا نقصت كانت جمودًا ، وإذا توسطت كانت عفة " "والمقابسات" يقول التوحيدي: "هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام أبي الحسن محمد بن يوسف العامري علقت وسمعت أكثرها منه، وهي التي مرت في شرحه لكتابه الموسوم بـــ "النسك العقلي" يقول: "أعرفه لا بالنفس بل بعيان النفس، وأشبهه لا بالكمال بل بكمال الجمال، وأطلبه لا للاتحاد لكن لاستخلاص الاتحاد " وقد ذكره الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ضمن كبار فلاسفة الإسلام "الكِنْدي والفارابي وابن سينا"، كما ذكره ابن تيمية ونقل عنه من كتابه"الأمد على الأبد".

أما عن الراغب الأصفهاني فسبب اختياره أنه لا يقل في ثقله الثقافي عن العامري ؛ فهو موسوعي الفكر مع تعمُّق في دراسة القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، وإن تميَّز عن العامري بالتعمُّق في الثقافة الإسلامية وعدم التأثر بالفلسفة اليونانية.

لقد كان الراغب جزيل العطاء لعلماء عصره وبعد عصره، ويشهد بذلك ما قدمه في كتابه المفردات لنجد فيه معجمًا قرآنيًّا لم يسبق إليه، ترجم له ظهير الدين البيهقي ووصفه بأنه "من حكماء الإسلام فهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه"،كذلك ترجم له السيوطي في بغية الوعاة، كما ترجم له حاجي خليفة في كشف الظنون.

كما امتدحه طاش كبري زاده في "مصباح السعادة" حيث أكد على حُسن كتابات الراغب قائلًا: "والكل بالغ الحسن بحيث لا يمكن لمادحها قضاء حقها "، وغيرهم. إن الراغب كان عالمًا فذًّا يشرف به العالم الإسلامي.

إشكالية البحث

- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين مفهوم السعادة لدى أبي الحسن العامري والراغب الأصفهاني؟

- ما مفهوم السعادة لدى أبي الحسن العامري؟

- ما مفهوم السعادة لدى الراغب الأصفهاني؟

تساؤلات الدراسة

1- ما المصادر التي استقى منها العامري مفهوم السعادة؟

2- ما المصادر التي استقى منها الراغب الأصفهاني مفهوم السعادة؟

3- ما تأثير الفلسفة اليونانية في فكر العامري؟

4- ما تأثير الفلسفة اليونانية في فكر الراغب الأصفهاني؟

5- ما مدى تأثير القرآن والسنة في فكر الراغب الأصفهاني؟

الدراسات السابقة

لم يتم إفراد دراسة مستقلة عن مفهوم السعادة بين أبي الحسن العامري والراغب الأصفهاني، في حين تَعَرَّض عدد كبير من كتب الأخلاق إلى موضوع السعادة بشكل عام.

وكانت معظم الدراسات المقدمة تتناول موضوع السعادة من خلال نظرية السعادة لدى أرسطو، مثل الدكتور عبد الحي قابيل في كتابه "المذاهب الأخلاقية في الإسلام" حيث تعرض لنظريتي الواجب والسعادة بشكل عام.

كما ذكر مقداد يلجن في رسالته "الاتجاه الأخلاقي في الإسلام" بعض المفاهيم العامة للسعادة.

أما الدراسات التي ذكرت العامري، فنجد خليفة عبد الرءوف باشا، حيث ذكر العامري ضمن مدرسة الكِنْدي بعنوان "مدرسة الكِنْدي بين الكلام والفلسفة"، ولكنه لم يتعرض لمفهوم السعادة لدى العامري.

كما تعرضت للعامري منى أحمد أبو زيد في رسالتها للدكتوراه "الإنسان في فلسفة العامري"؛ حيث ذكرت في الفصل الخامس تصور العامري للسعادة الإنسانية بشكل موجز.

أما الدراسات التي ذكرت الراغب الأصفهاني فنجدها تتعرض لمنهج الأصفهاني مثل رسالة الماجستير التي قدمها عباس محمد أحمد بعنوان "الراغب الأصفهاني ومنهجه في كتابه المفردات" ولم يتعرض لموضوع السعادة لدى الراغب الأصفهاني.

منهج الدراسة

فرضت طبيعة البحث أن يكون منهج الدراسة هو المنهج التحليلي المقارن، حيث يقوم المنهج التحليلي على تحليل أفكار كل من أبي الحسن العامري والراغب الأصفهاني في موضوع السعادة. كما يتم استخدام المنهج المقارن لتوضيح أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بين أبي الحسن العامري والراغب الأصفهاني في موضوع السعادة.

تقسيم البحث: فرضت طبيعة البحث أن يأتي تقسيمه كالتالي:

مقدمة وتمهيد وأربعة فصول.

تمهيد السعادة وما تحتاج إليه، ويحتوي على:

تعريف السعادة في اللغة والاصطلاح - القيمة الذاتية للسعادة - حاجة الإنسان إلى السعادة - طرق إصلاح الأخلاق لتحقيق السعادة - وجوب اكتساب الفضائل وطهارة النفس - كيفية تطهير النفس - ما يلزم تطهيره من النفس - إصلاح القوة الشهوية.

الفصل الأول: مفهوم السعادة قبل العامري والأصفهاني ويحتوي على:

أولًا: الكِندي- نبذة عن حياته - سبل نيل السعادة لدي الكِندي - طرق دفع الأحزان وتحصيل السعادة – تعقيب.

ثانيًا: الفارابي – نبذة عن حياته - السعادة لدى الفارابي - سبل نيل السعادة لدى الفارابي - تقسيم السعادة إلى دنيوية وأخروية لدى الفارابي - المدينة السعيدة - الرئيس الفيلسوف هو أحد أسباب السعادة - تعقيب.

الفصل الثاني بعنوان: مفهوم السعادة لدى العامري والأصفهاني، ويحتوي على:

سيرة حياة العامري – نبذة عن حياته - سيرة حياة الراغب الأصفهاني – نبذة عن حياته – مفهوم السعادة لدى العامري – مفهوم السعادة لدى الراغب الأصفهاني- مصادر مفهوم السعادة لدى العامري - مصادرمفهوم السعادة لدى الأصفهاني - تقسيم العامري للسعادة - تقسيم الرَّاغِب الأَصْفَهَاني للسعادة – تعقيب - درجات السعادة لدى العامري - درجات السعادة لدى الراغب – تعقيب - سبل نيل السعادة لدى العامري - سبل نيل السعادة لدى الراغب الأصفهاني – تعقيب - من السعيد لدى العامري؟ صفات السعيد لدى العامري - السعيد وأخلاق العبودية - من السعيد لدى الراغب؟- صفات السعيد لدى الراغب الأصفهاني – تعقيب.

الفصل الثالث بعنوان علاقة السعادة بالفضائل الأخرى، ويحتوي على:

علاقة السعادة بالخير لدى العامري - علاقة السعادة بالخير لدى الراغب الأصفهاني - تعقيب - علاقة السعادة بالفضيلة لدى العامري - تقسيم الفضائل لدى العامري - طرق اكتساب الفضائل- علاقة السعادة بالفضيلة لدى الراغب

الأصفهاني – تقسيم الفضائل عند الراغب الأصفهاني – تعقيب – علاقة السعادة باللذة لدى العامري – أقسام اللذات لدى العامري – علاقة اللذة بالسعادة لدى الراغب الأصفهاني – تعقيب – علاقة السعادة بالمحبة لدى العامري – تقسيم العامري للمحبة – تعقيب – علاقة السعادة بالموت عند الراغب الأصفهاني – علاقة السعادة بالإسعاد لدى العامري – تعقيب.

الفصل الرابع: معوقات السعادة، ويحتوي على؛

أولًا: معوقات السعادة لدى العامري

انحلال النفس – علاج انحلال النفس الإنسانية – اللذة من معوقات السعادة – علاج النفس من اللذة – متع الدنيا – علاج متع الدنيا – نقائص البدن – علاج النقائص البدنية – الجزع والقلق – علاج الجزع والقلق – معوقات الإسعاد لدى العامري – العادات السيئة – علاج العادات السيئة –الحسد– الشر– علاج الشر

ثانيًا: معوقات السعادة لدى الراغب الأصفهاني

الانحلال الخلقي من معوقات السعادة – علاج الانحلال الخلقي – إزالة الأمراض الخلقية – إصلاح قوى النفس– علاج انحراف النفس – طهارة القلب – التطهر الخلقي طريق نعيم الآخرة – التطهر من الأخلاق الذميمة – العجز عن الفضيلة من معوقات السعادة – الانشغال بالمعيشة – قصر العمر – التربية السيئة– النفس والهوى – الرجوع عن الحق – الحسد – الشر من معوقات السعادة – علاج الشر – تعقيب.

الخاتمة وتتضمن نتائج البحث والتوصيات

مفهوم السعادة
بين أبي الحسن العامري(٣٨١هـ) والراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ)

تمهيد: السعادة وما تحتاج إليه

معنى السعادة في اللغة

السعادة كلمة ذات أصل عربي وهي مادة (سَـعَـد) بفتح الـ (س- ع – د) وهي اليُمن أي السرور والخير والبَركة. [1]

ومن معاني السعادة أيضًا ما يلي:

السعادة: معاونة الله للإنسان في نيل الخير.[2]

ومعنى سَعَدَه الله أي أعانه ووفقه.[3]

ويقال: سَعِدَ فلان يسْعَدُ سَعْدًا وسعادة فهو سعيد ويجمع سعداء، ويقال: أسعد الله وأَسْعد جده، إذا كان اللفظ اسمًا لا نعتًا[4] والسعادة هي أيضًا نقيض الشقاوة.[5]

---

(1) تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي – تحقيق حسين نصار – دار الجيل – مطبعة الكويت 1369هـ 1969م أيضًا: انظر المفرادات في غريب القرآن – الراغب – تحقيق محمد خليل عيتاني – دار المعرفة بيروت لبنان.

(2) المعجم الوسيط – أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون – مادة س ع د – ج1 – ص 432 – مجمع اللغة العربية – مطبعة مصر 1380هـ-1960م.

(3) تهذيب اللغة – لمحمد بن أحمد الأزهري – تحقيق محمد علي – ج2 – ص70 – الدار المصرية للتأليف والترجمة =

(4) كتاب العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق د. إبراهيم السامرائي – ج1 – ص322 – مكتبة الهلال – دون تاريخ.

(5) معجم ديوان الأدب – الفارابي – تحقيق أحمد مختار عمر – ج2 – ص239 دار الشعب – 1424هـ – 2003م.

وكلمة السَّعْدُ التي تعني السعادة أو الحظ الطيب قد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة كفعل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ). [هود: 108]

ووردت كلمة سعادة في القرآن كنعت مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾. [هود: 105]

ومما سبق فكلمة السعادة لها أحد معنيين على المستوى اللغوي:

1- السعادة بمعنى اليُمْن والبِشَارَة التي تحمل الخير والسرور.

2- السعادة بمعنى المُسَاعَدَة والمُعَاوَنَة.

السعادة اصطلاحًا

ارتبط معنى السعادة لدى العرب قبل الإسلام بالعديد من المعاني، فقد كانت السعادة تعني اليُمْن وهو ضد النحس، ومن معانيها أيضًا الفأل الحسن[1]، وللسعادة العديد من المعانى الاصطلاحية التي قدمها الفلاسفة ومنها:

السعادة هي الفضيلة

يرى أرسطو أن السعادة هي فاعلية للنفس مطابقة للفضيلة، وأما الخيرات الأخرى فإنها إما أن تكون بالضرورة داخلة في السعادة وإما أن تُعِين عليها كمساعدات وآلات طبيعية نافعة[1]

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية مادة سعادة - دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوى - إبراهيم زكي خورشد- عبد الحميد يونس - راجعها محمد مهد علام - ج11 - ص393.

السعادة هي النِّعَم

السعادة هي النِّعم التي أباحها الله للإنسان ليستمتع بها [٢] وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِن اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [النحل: 18]

ولما أراد الله أن يقرب هذه النعم أو اللذات التي وعد بها المؤمنين في الآخرة، ضرب أمثلة لتلك النِّعم أو اللذات مقربًا إياها لأفهام الكافة، وشبَّهها ومثَّلها لهم بأنواع من الأشياء التي تدركها حواسهم، [٣] حيث قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾. [محمد: 15]

ضرب الله عز وجل في الآية الكريمة أمثلة من المأكول والمشروب في الدنيا وما بالجنة أعظم وأجلُّ ففيها "ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". [٤]

السعادة هي الفوز أو النجاة

إن كلمة فوز تدل على نجاح سلوك فردي أو جماعي ما، وهو موجه نحو السعادة أو النجاة، ولقد تكرر معنى الفوز والنجاة والوصول للسعادة الأخروية الحقة في القرآن،

---

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس – أرسطوطاليس – ج1 – ص 205،206 – ترجمة أحمد لطفي السيد – مطبعة دار الكتب المصرية – 1924م.

(٢) انظر – تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين – الراغب الأصفهاني ص57 – المطبعة الحميدية المصرية 1323 هـ.

(٣) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين – الراغب الأصفهاني ص61،62.

(٤) صحيح البخاري – باب قوله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم 6/ 115، 116، صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها 4/ 2174، 2175، سنن ابن ماجه: باب صفة الجنة 2/ 1447.

وهو ما تؤكده الخبرة الحياتية؛ فالفوز في الدنيا من أهم أسباب السعادة، ومن هذا الدعاء المأثور الفوز بالجنة والنجاة من النار[1].

السعادة هي الغاية

وهو المعنى الذي أكد عليه الفلاسفة، واتفق عليه – سواء – الإسلاميون منهم أو الغربيون، فيرى الفارابي (ت 339هـ) أن السعادة هي غاية تُؤْثَرُ لذاتها؛ فهي شيء نهائي تمامًا من جميع الوجوه؛ فالسعادة غاية يتشوق إليها كل إنسان، وهي متى حصل عليها المرء لم يحتج بعدها إلى شيء آخر؛ فالسعادة غاية مكتفية بنفسها. [2]

ويرى أيضًا أن السعادة كمال يُؤْثَرُ لذاته يقول: "كل كمال غاية يتشوقها الإنسان فإنما تشوقها على أنها خير ما فهو لا محالة مؤثر... ولَمَّا كانت الغايات التي تشوق على أنها خيرات مؤثَرة كثيرة كانت السعادة أحد الخيرات المؤثرة".[3]

وهذا ما ذكره أرسطو نفسه (ت 322 ق.م) الذي يرى أن السعادة هي أحسن ما يكون وأجمل ما يكون وألذ ما يكون في آن واحد.[4]

وهنا – ألذ ما يكون – إشارة إلى السعادة البدنية، ولكنها لذة صافية لا يتلوها ألم.

وأيضًا كل الأفعال والسلوكيات هي مجرد أسباب ووسائل للوصول إلى السعادة

---

(1) انظر معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية – محمد أركون– ص192 – ترجمة وتعليق – هاشم صالح– دار الساقي.

(2) انظر التنبيه على سبيل السعادة – الفارابي– ص2 – مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدرآباد – 1346هـ.

(3) انظر المصدر السابق – ص 2،3.

(4) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس – أرسطوطاليس – ج1 ص 202.